15 ème Année No. 737

Lundi — 18 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شوال سنة ١٣٦٦ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

بين الروحانية والمـــادية

للاســـتاذ عباس محمود العقاد

« ... وعلى سبيل الاستفسار أوجه إليكم الأسئلة الآتية بعد قراءة ردكم على نقد الأستاذ اسماعيل مظهر لكتابكم عن الله راجياً أن تتفضلوا بالإجابة عنها فى الرسالة الغراء :

١ - أليس هناك وجه من الصواب فى وجوب التفرقة بين الوجود والموجود وبين العدم والمعدوم فى الكتابات الفلسفية ؟ فإن الكاتب الأديب قد يجوز له أن يستعمل إحدى الكلمتين بمعنى الأخرى من قبيل التجوز المقبول فى الكتابة الأدبية . ولكن هل يقبل ذلك فى لغة العلم والفلسفة ؟ .

٢ — هل من الضرورى أن يخلق العالم الطبيعى خليقة حية ليقول إن النواميس المادية تتسلط على الحياة ؟ ألم يصنع العلماء مادة البروتو بلاسم التى هى مادة الحياة ولا يبقى إلا الزمن لتشبه هذه المادة المصنوعة مادة الحياة ؟ ألا يحق لنا فى العصر الحاضر بعد كشف الذرة أن نقول إن العلم قد وضع سر المادة فى أيدى العلماء ... الخ الخ » .

الإسكندرية صابر . م

***

أما فى مسألة الوجود والموجود والعدم والمعدوم فالأديب المستفسر قد عكس الأمر فطلب فى لغة العلم والفلسفة ما يطلب من الأديب ، أو طلب من الأديب ما يطلب فى لغة العلم والفلسفة

وقد جرت المناقشة فى هذا الموضوع من قبل بين الرازى والصابونى فقال الإمام الرازى فى مناظراته : « إن كان غرضك إظهار الفرق بين التكوين والمكون بحسب اللفظ والعبارة فإنه يقال كوَّن يكون تكويناً فهو مكون وذاك مكون ، فالتكوين مصدر والمكون مفعول ، والفرق بين المصدر والمفعول معلوم فى اللغات . إلا أن الفرق الحاصل بحسب اللغات لا يوجب الفرق فى الحقائق والمعانى . ألا ترى أنه يقال عدم يعدم عدماً فهو معدوم ، فالعدم مصدر والمعدوم مفعول وذلك لا يوجب الفرق بينهما فى الحقيقة » .

فالفلاسفة هم الذين سوغوا استخدام كلمة الوجود بمعنى الموجودات ، ولم يمتنع ذلك فى اللغة لأن شواهد هذا الاستخدام متكررة فى كل مقام .

***

وقد نجارى الأديب المستفسر على رأيه فى خلق الخليقة الحية فنقول إن العالم الطبيعى لا يطالب حتما بخلقها فى المعمل ليجوز له أن يقول إنها قوة مادية وليس فيها زيادة على القوة المادية .

ولكنه يطالب حتما بمعرفة العلة التى تفرق بينها وبين الذرة المادية ليقول إن هذا الفرق من المادة وليس من شىء غيرها . أما أن يجزم بمصدر هذه العلة وهو لا يعرفها ولا يستطيع أن

يصفها فهذا هو الادعاء بعينه وليس هو العلم الطبيعي المزعوم .

وإذا كانت المصانع قد أخرجت مادة البروتو بلاسم التي هي مادة الحياة كما يقول الأديب المستفسر فهذه المصانع قد أثبتت أن للحياة سراً غير سر المادة ولم تثبت أن الحياة كلها من المادة وإليها ؛ لأن البروتو بلاسم الذي أخرجته المصانع لا يتغذى ولا يتجدد ولا يتحرك كما تفعل الخليقة الحية . فهو إذن « بروتوبلاسم ناقصاً الحياة » . وبقي السؤال قائماً كما كان : ما هي الحياة ؟ .

أيقول الأديب المستفسر إنه من فعل الزمن الطويل ؟ لقد قال ذلك فعلا حين قال إنه لا يبقى إلا الزمن لتشبيه المادة المصنوعة مادة الحياة » .

فمن الواجب أن نذكر هنا أننا نسأل : ما هي الحياة ؟ ولا نسأل في كم من الزمن نشأت الحياة ؟ .

وهي سواء نشأت في دقيقة واحدة أو في عشرين مليون سنة شيء له حقيقة ، فما هي هذه الحقيقة ؟

على أن الزمن الطويل عنصر داخل في تركيب المادة التي نعرف ما بينها من الفروق والمشابهات .

فلماذا نعرف الفرق بين الحديد والنحاس وقد مضى على تكوينهما ألوف السنين ، ولا نعرف الفرق بين البروتوبلاسم الحي والبروتوبلاسم الذي تخرجه المعامل ويصنعه العلماء ؟

أقل ما ينبغي للعالم الذي يصون كرامة علمه أن ينتظر ويؤجل حكمه ، لا أن يجزم بحقيقة شيء لا يعرفه ولا يستطيع أن يعلل الفرق بينه وبين غيره من الأشياء .

* * *

ومن الادعاء البعيد أن يقال إن كشف الذرة قد وضع سر المادة في أيدي العلماء ، أو قد خولهم أن يفسروا كل ظاهرة من ظواهر الوجود بالقوانين المادية

فإن أسرار الذرة قد صنعت نقيض ذلك على خط مستقيم ، وقد عمدت إلى الحتمية Determinism للأسباب المادية — أو القوانين المادية — فعصفت بها عصفاً لم يستقر لها من بعده قرار .

وليس هذا الكلام مستمداً من مذاهب الفلاسفة أو مذاهب رجال الدين أو فروض الأدباء والهواة في المسائل العلمية ، ولكنه مستمد من مباحث أقطاب العلم الطبيعي الذين أسسوا قواعد البحث في الطاقة الذرية وفي تركيب المادة وقوانين الإشعاع .

فالعالم الكبير ماكس بلانك Blanck صاحب نظرية الكوانتم التي بنيت عليها المباحث الذرية ، وصاحب جائزة نوبل للعلوم الطبيعية في سنة ١٩١٨ يقرر أن حركات الكهارب لا يسيطر عليها قانون معروف ، وأنك لا تستطيع أن تتنبأ عن اتجاه الحركة التالية للكهرب من الكهارب حول النواة ، وهذا هو عنصر المادة الأصيل يغلب فيه القول بالمشيئة على القول بالحتمية المادية . فكيف يمكن أن يقال مع هذا أن كشوف الذرة قد أبطلت القول بالإرادة الإلهية ووضعت سر الكون كله في أيدي العلماء ؟

إنها لم تضع سر الذرة نفسها في أيديهم وهي أصغر ما في الكون من مادة ؟ فكيف تضع في أيديهم سر الكون كله وتنفي منه فرض المشيئة الإلهية التي تسيطر على كل « حتمية مادية » كان يدين بها العلماء قبل الآن ؟

والعالم الكبير هيزنبرج Heisenberg متمم بحوث بلانك وصاحب جائزة نوبل للعلوم الطبيعية عن سنة ١٩٣٢ يعلن نقض «الحتمية المادية» ويقرر أن التجارب الطبيعية لاتتشابه في النتيجة وإن اتفقت الأدوات واتفقت المواد واتفق المجربون . فكيف يقال إن « دور » المشيئة قد بطل كل البطلان ولم يبق للكون من أسباب غير ما يزعمونه من النواميس ؟

والعالم الكبير إدنجتون Eddington من أكبر الباحثين في الكهرباء والطبيعيات يعقب على هذا فيقول « إنني لا أحسب أن هناك انقساماً ذا بال في الرأي من حيث تداعي الأخذ بمذهب الحتمية المادية . فإن كان هناك انقسام فهو الانقسام بين الآسفين لتداعيه والمتثبطين بتداعيه . والآسفون بطبيعة الحال يرجون له عودة ولا يستحيل أن يعود . ولكنني لا أرى سبباً لتوقع عودته في أي شكل وفي أية صورة » .

وهؤلاء جميعاً علماء طبيعيون ، وهم جميعاً مختصون بالموضوع الذي يحكمون فيه وهو تركيب المادة . بل هم جميعاً من مؤسسي البحوث في هذا الموضوع .

فأيسر ما يؤمن به الرجل المحقق بعد هذا أن المسألة جليلة